تمثيلية الكاتبة الفرنسية «ماري مندرون»

چيزيل

ابنة الامبراطور شارلمان

نقلها الى العربية واعدّتها تمثيلية

الآنسة : نعمت رحمي

الأشخاص

فرديناند: من أبناء الشلاه في البلاط الامبراطوري	فرانسوا : من حاشية الامبراطور المقربين
أدولف : » » »	هارلك : فرسان وثني
شارلمان : الامبراطور	اليزابيت : ابنة الامبراطور شارلمان الثانية
چيزيل : ابنة الامبراطور شارلمان	

في البهو الامبراطوري

فرديناند : ألا ترى يا أدولف ، أن الامبراطور قد أصبح قلقاً مضطرباً في هذه الأيام؟

أدولف : نعم .. لقد لحظت عليه ذلك يا عزيزي فرديناند

فرديناند : إن الامبراطور شارلمان ، الذي أنفق ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره حتى الآن وهو يحكم مملكته العظيمة .. ملك أعنة المجد .. وبلغ من الفخر غايته ...

أدولف : فأنى يقيم في هذا القصر ، طلباً للراحة لمدة من الزمن .. أليس كذلك ؟

فرديناند : عفوك يا عزيزي ، إن الامبراطور ، قد أتى الى قصر الجوميج .. لانه اعتزم الاقامة به .

أدولف : اذن فهذا القصر القائم بالقرب من الدير .. والذي تشرف أسواره الضخمة ، على نهر السين ، سينتظره شارلمان مقره الجديد .

فرديناند : هو ما تقول ؛ فان الحياة في هذا القصر تلذ للامبراطور ، ويطرب لها .. غير أنه أصبح قلقاً مضطرباً ؛ من رؤية تلك القوارب الكبيرة التي تمخر عباب البحر . وكأنها هي تطير فوق المياه ، في خطوط منتظمة وقد جلس فيها الجدافون صفين ...

أدولف : انها قوارب فريدة في نوعها .. لها قوادم غاية في العلو . لا تنال نهايتها الأمواج مهما تعاظمت . وقد نقشت أعالي هذه القوادم ، على هيئة رأس حيوان التنين .. رمز الوثنية .

فرديناند : إنك لا زلت حديد البصر ، كمهدي بك يا صاحبي .. أرأيت أيضاً ، أن هذه القوارب ، لها قلوع بيض صيغة .. بعضها مخطط بالأحمر الأرجواني .. وبعضها مخطط بالأزرق السماوي ؟

أدولف : أجل ، ورأيت أيضاً ، ذلك البريق الذي يأخذ الأبصار ، عندما تنعكس الشمس على دروع الجدافين المتقاربين .

فرديناند : كفى يا عويزي . فربما أتى الامبراطور على حين غرة .. فيسمع ما يدور بيننا ، عن أولئك الرجال الذين يثيرون غضبه ...

أدولف : لقد كان بالأمس في حالة شديدة من الغضب . وهو ينظر من هذه الشرفة . وقد اسند الى حافتها بقبضتي يديه المرتعشتين .. وكان الكل من حوله سكوتاً .. حتى الأميرة جيزيل ابنته ...

فرديناند : آه . جيزيل ، ذات الغدائر الذهبية الطويلة .. إنها أعز أخواتها على أبيها .. لله ما أجملها ، وما أبهاها .. آه ! اني أتمنى

أدولف : مهل رسلك يا فرديناند .. كنت من ساعة تنصح لي أن أكون حذراً ، وأنا أتكلم عن أولئك الرجال الذين أتوا يزاحمون الامبراطور في بحاره . فما بالك الآن ، تسرف في الكلام عن إبنته ، غير عابىء بما في ذلك من

لخطر الشديد .

فرديناند : وأي خطر في ذلك ؟

أدولف : ألم يصل الى علمك أن الامبراطور يغضب غضباً شديداً ، إذا علم أن رجلاً ينظر الى إحدى بناته ؟

فرديناند : حتى ولو كان من أبناء النبلاء ؟

أدولف : بل ولو كان ملكاً متوّجاً. فهو يؤثر ألف مرة ، أن تهب ابنته نفسها للدير من أن يراها من دبابير الشيطان .

فرديناند : إن كان ما تقول ، فإني أخاف أن يتبدّل حبي والتقدير لذلك الرجل .

أدولف : صه ، يافرديناند . والأفضل لنا أن نتكلم في أمور خاصة بنا . لئلا يباغتنا الامبراطور . أرأيت ما هو ذا مقبل علينا من بعيد . فلنصلح من شأننا ما استطعنا . فهو يحب أن يكون أبناء النبلاء ، حسني الهندام .

فرديناند : آه ! وها هي جيزيل صحبته . (صوت خطوات تقترب)

شارلمان : فرديناند . أدولف . أرى عليكما أثر الاهتمام . ويخيّل على ظني ، أنكما كنتما تتكلمان من أولئك المحاربين الاخساء المجانين .

جيزيل : أبي ! يجب أن نضع حدّاً لهذه الحال . إن أولئك الرجال ، على ضآلة شأنهم ، أوشكوا أن يسببوا القلق لجميع من في القصر .

شارلمان : لقد أصدرت أوامري بالأمس ، الى بعض من أثق بهم ، ممن فيهم دراية وخبرة ، بإقامة الكمين . لأسر ولو رجل واحد ، من أولئك الرجال . فربما هدّئتهم أنفسهم ، واقتربوا بعراكهم من السواحل في مكون الليل .

جيزيل : وهل نجحت الخطة يا صاحب الجلالة ؟ هل وقع واحد منهم في الكمين ؟

شارلمان : نجحت الخطة ياصغيرتي . ونجحت الى حدّ بعيد . فقد وقع في الكمين رئيس الجماعة ، وأخذناه أسيراً ، واسمه هارالد . هيا ، فرديناند . هيا ، أدولف ستشاهدان بعد قليل ، هارالد الوثني وهو يعرف اللسان

الفرنسي . فقد لقنه إياه رجل فرنسي ، وقع في أسر أبيه ، كما يزعم .

فرديناند . هل ننتظر أوامر بشأنها طبنا صاحب الجلالة الامبراطورية ؟

شارلمان : لا ، مكانكما يا صديقي . فبعد لحظة ، سيزدحم هذا البهو الكبير ، بسكانه البلاط الامبراطوري . وسيتناثر رهبان الدير الى هنا وهناك بعد أن ذاع خبر وقوع هارالد ، ذلك الذي يدّعي لنفسه امارة البحر ، ومن بعد ، ليس إلاّ أفّاقاً من الشمال ، ذلك الفيكنج ، كما يسميه بعضهم . والنورماندي كما يسميه البعض الآخر . فالكل يريد رؤيته . (صوت جلبة وأقدام)

الأميرات معاً : هاهي الامبراطور شارلمان .

شارلمان : خذوا أماكنكم يا سادة . تقدّم هنا ، يا فرانسوا . تكلم . هل رأيت السجين ؟

فرانسوا : نعم يا مولاي . رأيته عندما اقتيد الى السجن . وهو شاب في مقتبل العمر . كبير الجسم ، متين العضلات ، جميل المحيا . وكان يحاول التملص من حراسه ، وقد بدت عليه سمة التوحش والكبرياء . أهبه بفهد صغير وهو ينظر فيمن حوله ، بعينيه الزرقاوين ، وكأنما الشرر يتطاير منهما .

شارلمان : هل بلغتهم أمري .. إني أريد أن أراه وأكلمه في الحال ؟

فرانسوا : نعم ، يامولاي .. وسيأتي بعد قليل ، مكبلاً بالسلاسل والأغلال ... (صوت جلبة)

شارلمان : إني أسمع جلبة .. لعله هو ، آه ؟ نعم .. ها قد أتى . (بغضب وقد رأى هارالد مقبلاً عليه) أنّى لك هذه الجرأة ، فتأتي أنت وأتباعك ، لمناهضتي في بحاري وأنهاري ؟ ألا تعرفون اسم الامبراطور شارلمان ؟ ألا تعلم أني السيد المطلق ، على هذه الممالك الشاسعة ؟

هارالد : (بهدوء) أنا ملك البحر ، ومملكتي أكبر من مملكتك جميعاً .

شارلمان : إنني أحكم رجالاً كثيرين ، يحطئهم العد .

هارالد : أنا أسيطر على الأمواج — وهي أكثر عدداً وكثرة ، من رجال الأرض جميعاً .

شارلمان : ألا تعرفون حدكم ، أني أخضعت اللومباردين ، وأخضعت تاجهم الحديدي .. وكذلك أخضعت الباڤريين والآڤاريين وأهل اسبانيا .. وإني جعلت من الساكسونيين نصارى ، وأنزلتهم على حكمي ؟

هارالد : لقد جعلت الأمواج تنحني لقواربي ، وهي خاضعة ذليلة .. وانقادت العواصف لأوامري وتصرفي .. فأنا سيد الزوابع والهواء .. وأنا أعز منك سلطاناً .

شارلمان : (هاجماً عليه) هيا أغرب عن وجهي .. وإلا تناولتك في الحال

هارالد : (هاجماً على شارلمان) سأحطم رأسك بهذه السلاسل .

جيزيل : (بجزع) أبي ؟ (لهارالد) كيف تهجم على مولاك ، أيها التعس ؟

هارالد : سيدتي ، إني آسف .. ويؤلمني ان هذه السلاسل ، قد مسّت شعرك الجميل .. وهي غلطة أشعر منها بالخجل .

شارلمان : (متهكماً) حسن . هارالد ، امبراطور ا امبراطور الزوابع وملك الهواء . تحت سطوتي وتصرفي .

هارالد : ليس في مقدورك غير قتلي .

شارلمان : أقدر على أكثر من ذلك .. سأحتفظ بك مكبلاً بالسلاسل .

هارالد : إذا سادَ أحدهما طائراً متوحشاً .. فليتأكد أنه سوف لا يحتفظ به طويلاً .. وأن الطائر سوف يعود الى الحرية .. أو يحطم رأسه على قضبان القفص .

شارلمان : هذا جميل .. إذن ، عد الى السجن .. وحاول أن تفلت منه .

موسيقى

جيزيل : (وقد رأت فرانسوا مقبلاً عليها باهتمام) آه ! هذا أنت يا فرانسوا .. أوراءك شيء من الأخبار ، أيها العجوز ؟ .

فرانسوا : أتود مولاتي ان تسمع أعجب الأخبار ؟

جيزيل : بلا شك . . على أن تكون أخباراً صحيحة . . ليس فيها شيء من المبالغة .

فرانسوا : عفواً . . هل قصصت يوماً على مولاتي شيئاً خلاف الحقيقة ؟

جيزيل : إذن هيا حدثني عن تلك الأخبار ، التي تسميها عجيبة .

فرانسوا : إنما أريد أن يبقى ذلك سرًّا بيننا ، يا مولاتي !

جيزيل : أعدك بذلك .

فرانسوا : لقد فرّ هارالد الفيكنج . وقد وجد باب السجن المنديالي العظيم ، مفتوحاً على مصراعيه . كما وجدت الأقفال الحديدية ، على عتبة الباب . وكأنه يروم بصنيعه هذا . الاستهزاء والسخرية .

جيزيل : (بصوت خافت) هرب يا رحمة السماء . (لفرانسوا) وماذا قال الامبراطور عند ما علم بهذا الحادث ؟

فرانسوا : غضب غضباً شديداً . وأمر بالبحث عن الهارب ، وقتله أينما عثر عليه . وان لا يذاع خبر هربه إلاّ بعد القبض عليه .

جيزيل : إنه حادث غريب ، كما تقول . ولكن ، هل تظن إنهم سوف يعثرون عليه ؟

فرانسوا : لست أدري . بل يغلب على ظني ، إنهم لن يعثروا عليه أبداً . لقد سمعت أموراً غريبة ، عن أولئك الفيكنج .

جيزيل : وماذا سمعت ؟

فرانسوا : سمعت إنهم أتوا من بلاد بعيدة في الشمال . تحيطها أسوار ضخمة من الثلوج البرّاقة . وإنهم يعرفون أغنية يغنونها إذا أرادوا طي الأمواج ، حسب هواهم . وأغنية أخرى ، تفتك بها الزوابع فتخضع لسلطانهم .

جيزيل : لا ريب أن تشاع مثل هذه الأقاويل ، في أحوال كهذه . والآن هيا اذهب إلى شقيقتي الأميرة البزابيت . وقل لها إني أود أن أراها . وإني منتظرة هنا .

فرانسوا : سمعاً وطاعة ، يا مولاتي سأذهب في الحال (يخرج)

جيزيل : يا الهي ! مالي أشعر بالخوف . أليس من المخجل ، بل من المدهش ، أن أشعر بي حيال هارالد ، عابد الأوثان ، الذي اجترأ على أبي ؟ إني لأشعر أن وجهي يحمر خجلاً . وكم أتمنى ألاّ يعثروا عليه أبداً ! . فلا تقلق سلاتي ، وليحفظ الله قلبي بعيداً عن الشطط (صيحة خفيفة) يا الهي ! ماذا أرى . هارالد !

هارالد : لا تنصرفي يا سيدتي الجميلة . فما أريد بك سوءاً

جيزيل : ولكن ماذا جاء بك هنا ؟ ألا تعلم ان والدي يبحث عنك ليقتلك . فلماذا لم تهرب ؟

هارالد : لقد هربت .

جيزيل : إذن ، فلماذا عدت الآن ؟

هارالد : أردت أن أراك . أردت أن أقول لك مرة أخرى ، إنه أحزنني ما بدر مني . وإني عندما عدت الى سجني ، في تلك الليلة ، لمحت خيطاً حريرياً من شعرك الذهبي الجميل ، ملتفاً حول أغلال المديدية ، مما سبب لي الخوف . وجعل عيني الجريئتين ، تعرفان معنى الخجل ، وها تتواريان تحت أجفانهما . أردت أن أقول لك أيضاً يا سيدتي : إني سأبقى طول حياتي محتفظاً بذلك الخيط الحريري الثمين .

جيزيل : قلت لك اهرب يا هارالد . اهرب في الحال وإلاّ قتلت .

هارالد : لا أستطيع . أريد أن أبقى قليلاً . فقد سحرني جمالك في هذا الثوب الأبيض الناصع . وهذا الأزار المرصع بالذهب . ثم ما أجمل غدائرك الذهبية المسترسلة . ماذا ؟ أتمتدين أطرافها بأحجار الزمرد . فما أجمل هاتين اليدين البضتين ، وبينهما هذا الكتاب ذا النقوش الذهبية .

جيزيل : هذا هو الكتاب المقدّس .

هارالد : أرنيه يا سيدتي . من يكون هذا الطفل المسكين ، الراقد فوق القش . ولمَ هو عار ؟

جيزيل : هذا هو المسيح .. وقد ولد باكياً ، ليكون عزاء المستضعفين .

هارالد : أما آلهتي أنا فانهم أقوياء . لديهم الأسلحة الحديدية . وطرق خوذات من الذهب ، تضع فوقها أحجار ثمينة بلون البحر . وثيابهم من نسيج الذهب والفضة . وهم أقوى من العاصفة . وأجل من الشهب عند الغروب . أما أصواتهم ، فهي ما يترامى الى أسماعكم . تسمعونها اثناء الروابع . خلقت أسلحة السيف الجميلة ، من بأسهم . إنهم ليمكنون قصراً أبوابه من خالص الذهب ، وأرضه من أحجار الزمرد . واذا أرادوا الهبوط الى الأرض ، وصلوا إليها وهم يمشون بأقدامهم المقدسة ، على قوس قزح . إني لأشفق على إلهك المسكين .

جيزيل : كفى يا هارالد . قلت لك اهرب . إني أسمع وطء أقدام .

هارالد : حسناً .. سأختفي من هذه النافذة التي أتيت منها . الى اللقاء يا سيدتي الجميلة .

جيزيل : آه ! لم يخطىء حدسي فقد كنت أشعر بوجود هارالد ، حولي في كل لحظة . (صوت أقدام) .

اليزابيت : آه ! جيزيل . أسعدت صباحاً يا عزيزتي . لقد أخبرني فرانسوا إنك هنا في انتظاري . ولكني أبطأت عليك قليلاً . فقد كنت في جدال مع الأميرة مادلين .

جيزيل : لقد كنت أشعر بالملل والسأم من كل شيء فأرسلت إليك . ولكن فيم كنتما تتجادلان ؟

اليزابيت : كنا نتكلم عن ذلك الفيكنج ، الذي وقع في أسر أبي .

جيزيل : وهل علمتما عنه شيئاً جديداً ؟

اليزابيت : لا ، إنما كانت مادلين تقص عليّ أموراً غريبة ، متعجبا من غريبتها عن أولئك الفيكنج ، وبلادهم وحياتهم . وهي قصص لا يكاد يتصورها العقل .

جيزيل : لقد سمعت أنا أيضاً ، مثل هذه الروايات الغريبة . ولكني أرى أنها روايات مختلقة ، لانصيب لها من الصحة .

البرايت : ولكن ، ألا ترين معي ، أن جرأة هارالد الوثني ، لا مثيل لها . كما أن جماله عجيب يفوق حد الوصف ! انه أجمل من أي أمير رأيته حتى الآن . آه ! مالك يا جيزيل . فيما تفكرين ؟

جيزيل : لا شيء . إنما أنظر الى السحب الذاهبة نحو الشمال . (صوت وقع أقدام)

فرانسوا : سيدتي الأميرة البرايت . عفواً . فقد أكون قطعت عليكما الحديث .

جيزيل : ما وراءك من الأخبار ، يا فرانسوا ؟

فرانسوا : خبر سار . لقد تعطف مولاي الامبراطور وأمر بإقامة حفل صيد في الغابات القريبة من البحر .

جيزيل : ومتى يتم هذا الحفل ؟

فرانسوا : في الغد يا مولاتي . وسوف يشهده جلالة الامبراطور .

البرايت : آه ! هذا حسن . هل أخبرت الأميرة مادلين ؟

فرانسوا : لا يامولاتي . لم أخبرها بعد .

البرايت : اذن . فاذهب إليها أنا لكي أخبرها بذلك . أكبر ظني أنها ستفرح وتطرب بهذا الخبر ، أيما طرب .

جيزيل : سأعود إليك بعد قليل . (تخرج)

فرانسوا : هل تأذن لي مولاتي ، بالذهاب ؟

جيزيل : نعم ، اذهب يا فرانسوا (يخرج) لو أتيح لي أن أرى هارالد في الغابة ! قلبي يحدثني بأنني سأراه هناك غداً . إن خوفي من لقائه ، يفوق شوقي لرؤيته .

موسيقى

(صوت الأبواق من بعيد . ثم صوت جواد يعدو . ثم يتمهل على مهل)

جيزيل : ما أجمل هذا المكان المنفرد من الغابة . آه ! وهذه الأشجار الكبيرة ! أخاف أن أكون قد أبعدت كثيراً عن الجماعة ، وأنا أطارد تلك الوعلة الملعونة ، التي اختفت فجأة . آه ! ماذا أرى . من يكون هذا الفارس . هارالد ! ما أحوجني الى الشجاعة (صوت جواد يعدو ثم يتمهل)

هارالد : جيزيل ! لا عليك . تعالي . اتبعيني (تسرع عدو الجرادين)

جيزيل : لقد دلات قلبي رعباً . كفى يا هارالد . لقد أبعدنا كثيراً . وأصبحنا بالقرب من الشاطىء .

هارالد : كما تودين . ولنترجل عن جوادينا (ويترجلان) هن ترين ذلك الغارب . انه قاربي . وهو في انتظاري . جيزيل ! اتبعيني الى مملكتي .

جيزيل : لا أقدر . ولا يمكن لي أن أترك أبي

هارالد : بل تعالي معي . يكن ابعر مملكتك . وانبت كما أحب الأمة .

جيزيل : لا أستطيع

هارالد : بل اتبعيني . وإلا حملتك قسراً .

جيزيل : دع يدك يا هارلد . فقد آلمتني

هارالد : آسف . والتمس صفحك عما بدر مني . (لحظة)

جيزيل : هارالد ! ماذا بك ؟ .

هارالد : لقد مسّت جدائلك يدي . وأنا أبغض كل معصيك الآن . تذكرت يوم رأيتك للمرة الأولى . جيزيل ! أإذا أصبحت مسيحيًا وآمنت بالهك فهل يوافق أبوك على زواجنا ؟

جيزيل : لا أظن . فهو لا يقبل أن يقدم للمسيح نفساً ، عن طريق الغواية . فارحل ودعني يا هارالد . لقد كتب علينا ألا ننال سعادة العيش معاً .

هارالد : جيزيل ! لقد هيمن حبك على قلبي وعقلي . وبت لا أرى في العيش معنى بغيرك .

جيزيل : آه ! ما كنت أحسب أن الحب يعصف بالقلب بهذه القوة .

هارالد : جيزيل ! في استطاعتنا أن نسعد بالحب . فلم يحبط سعي شقائنا . حبا اتبعيني يا جيزيل . اتبعيني الى حيث تنتظرنا السعادة .

جيزيل : كيف أسعى الى السعادة ، وأحنث من وراثي أبًا حنونًا ، يذكرني بالعناية حتى الثبات . أيجوز لي أن أطعن قلب أبي ، ذلك الشيخ العظيم في سبيل حبي وسعادتي ؟ . إذن ، فليبق هذا جسدي ، أما قلبي فهو معك . فارحل يا هارالد .

هارالد : لا ، بل سأبقى ، لكي أنتزع ذلك الزهر الذي يزوجونك منه .

جيزيل : لن أكون زوجة لرجل على وجه الأرض . بل سأكون راهبة في أحد

الأديرة . أناجيك في عزلتي . أناجيك وقت السحر . وأستقبل نسيم الصبح على ذكراك ، الى أن أغمض عيني فكرى . فارحل يا هارالد . ارحل

هارالد : ولكني لا أريد الرحيل . أريد أن أموت وأنا بالقرب منك .

جيزيل : أتوسل إليك (صوت النفير من بعيد . تتقول له بجزع) هارالد . هيا اركب القارب . فاني أخاف عليك .

هارالد : ولكني لا أقوى على الرحيل . ان نظراتي لا تستطيع أن تتحول عنك .

جيزيل : أتوسل إليك . أيرضيك أن أركع عند قدميك ؟

هارالد : سأذهب . سأعود الى حياة البحار ، حياة الروائع والحوادث . وسأصبح معروفاً بالرئيس ذي العينين القاسيتين . الذي لا يحب الكلام . ولا يبتسم أبداً .

جيزيل : اما أنا . فاذا عدت الى قصر الجومبيج . فسأركع أمام أبي الامبراطور . ليأذن لي بالترهب . وسأعيش بقية حياتي ، في أحد الأديرة : منقطعة عن العالم . أبكي سعادتي المفقودة .

هارالد : وسيصبح هارالد الثيكتنج ، ولا تعرف السعادة الى نفسه سبيلاً . لأنه التقى يوماً بجيزيل ، إبنة الامبراطور شارلمان ، وانتف خيط من شعرها الذهبي ، حول معصميه . والآن ، دعيني أقبلك قبل أن أرحل عنك الى الأبد (لحظة) جيزيل ! دعيني أنظر الى عينيك مليًا .

جيزيل : كفى يا هارالد : هيا اركب القارب . لأعود أنا الى الجماعة . قبل أن يلحق بنا أحد . اذهب وليحرسك الله .

هارالد : وداعاً يا جيزيل . وسأناديك من بعيد ، كما جنّ الليل وساد السكون . سأناديك بكل قوتي ، وأنا أنظر صوبك . فاصغي جيداً الى صوتي ، إما مختلطاً بأوراق النسمات . وإما متغلغلاً في هزيم الرعد وقصف الأمواه . سأجعل إسمك أهزوجة يترنم بها الأمواه في جوف الليل . فوداعاً ياجيزيل .

جيزيل : وداعاً يا هارالد .

موسيقى

نامت ستي